اليمن

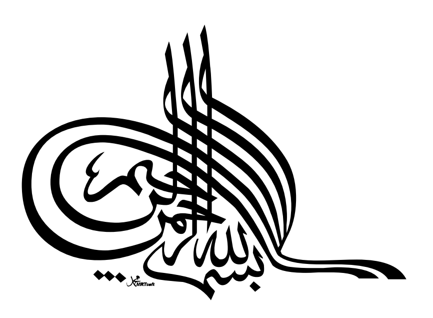
والأئمة: الهادي والمرتضى والناصر

رسالة الإمام الناصر أحمد إلى أهل طبرستان

جمال الشامي



١٤٣٨هـ



المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

لقد بلغ الانحطاط الأخلاقي في عصرنا الحالي النهاية، واختلت الفطرة الانسانية، وردت الضرورات العقلية، فالعمى شامل والهدى خامل، وأصبحت النسبة فيه للنفي لا للإثبات في كل المجالات، فأصبح الاعتداء مساعدة، والدفاع عدواناً، و"الإساءة إحساناً، والكفر بالله إيماناً، والهدى فيه –أي القرآن – عندهم ضلالاً، وعلماء أهله به جهالاً، ونور حكمه ظُلَماً، وبصر ضيائه عمًى، بل حتى كادت أن تُجعل فَاؤُهُ أَلِفاً، وألفه للجهل بالله فاءًا، تلبيساً على الطالب المرتاد، وضلالة من العامة عن الرشاد"[1].

ونال مؤخراً تاريخ اليمن المجيد شيء من ذلك الانحراف التصوري بواسطة ألسن وأقلام دخيلة وحاقدة عليه، أكثرت من الإساءة والتشوية على الإمامة في اليمن والأئمة متعلقة بأوهام وخرافات غرو انفسهم بها، بلاء حياء وخجل يأتي هؤلاء يطعنون في سيرة أئمة اليمن بعد ١١٠٠ عام، جاحدين لما عُلم ضرورة من صلاح سيرهم وعظمة علمهم، ومحاربين لجليل تراثهم الذي هو بحق تراث اليمن ولا يمكن تفسير الخبر النبوي ((**الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**))[2] إلا بهذا التراث الذي يتميز عن تراث البلدان الأخرى وينحصر في اليمن حصرا، وقد شهد لتفوق وتقدم التراث اليمني الكلامي والفقهي العقلاء

(١) مجموع الإمام القاسم الرسي ج٢ص٣٧.

(٢) صحيح مسلم ج١ص٧١.

من المسلمين وغيرهم، لما تميز به من النظرة الأُممية للكل والانفتاح على الكل، مع الاعتدال والأمانة في نقل الأقوال.

ونظراً لما يشهده العالم اليوم من تقدم علمي مع انحطاط أخلاقي، وبلوغ العرب الدرك الأسفل من الانحطاط والتخلف والجهل والعمالة والخيانة وانعدام الديانة والأخلاق حتى أصبحوا معدومي الأهلية لم يجدوا ما يقدموا للعالم من محاسن تاريخهم ولا من اختراعاتهم سوى الإرهاب، وفي ظل هذه الأوضاع المهينة مع تفاخر المسلمين بتاريخهم ومطالبة الكثير منهم بحكم إسلامي يأتي التساؤل التالي: ماذا يمكن للعرب اليوم أن يقدموا من نظام إسلامي يمكن تطبيقه أو الاستفادة منه اليوم أو يكون مصدر فخر لهم أمام الغرب الديمقراطي؟

هل تقديمهم (التغلب بالقهر)[1] و(الوراثة) و(ولاية العهد)[2] كمصدر لتولي السلطة في الإسلام.

أم بجعلهم مقام الحاكم (الخليفة، الملك، الرئيس) "ظل الله في الأرض"[3]، وأن "ما عليهم حساب ولا عذاب"[4]، وأن "ذات حضرة السلطان هو مقدس وغير مسئول"[5].

أم بتحريم مقاومة ظلم الحاكم ووجوب الصبر على الظلم والطغيان "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك"[6]، و"من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر"[7]، "

---

(١) رسالة في الخلافة العظمى للفاسي ص٤٠.

(٢) قال الماوردي: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته. الأحكام السلطانية ص٣٠.

(٣) السنة لابن أبي عاصم ج٢ص٤٨٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ج٥ص١٥١.

(٥) القانون الأساسي العثماني المادة ٥.

(٦) صحيح مسلم ج٣ص١٤٧٦.

(٧) صحيح مسلم ج٣ص١٤٧٧.

ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا، فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية"(١)، و"أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم"(٢).

أم بالصبر على الجور وتعطيل الأحكام حتى يظهر الغائب، فـ "اسكنوا ما سكنت السموات والأرض"(٣)، و"الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يجعل الله لكم"(٤).

أم بقول الحاكم للشعب: "والله لا يأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى اللَّه عز وجل إلا ضربت عنقه"(٥)، و" أنا خازن من خزان الله، أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله"(٦).

هذا هو التراث العربي الإسلامي السياسي الموجود والمعلوم لدى الناس، وأما كيفية صدور هذه الغرائب السياسية وصبغها بالإسلام وأنها المعبر عنه فلا بد من النظر والتحليل لأشخاص وبيئة من صدرت عنهم وهم العرب، فيذكر ابن خلدون بعض التحليلات عنهم فيرى أن سبب بعدهم عن السياسة "لأنّهم أكثر بداوة من سائر الأمم"(٧)، ولأن التغلب هو غايتهم "بطبيعة التّوحّش الّذي فيهم أهل انتهاب"(٨)، وأن القانون لا ينفع معهم "خلق التّوحّش الّذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرّئاسة"(٩)، وأنهم إذا تغلبوا على بلاد أسرع الخراب إليها " أنّهم أمّة وحشيّة باستحكام عوائد التّوحّش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلّة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج

(١) صحيح مسلم ج٣ص ١٤٧٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ص١٧٩.

(٣) أمالي الطوسي ص٤١٢.

(٤) وسائل الشيعة ج١٥ص٥٥.

(٥) أنساب الأشراف ج٧ص٢٠٦.

(٦) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٤٤.

(٧) تاريخ ابن خلدون ج١ص١٨٩.

(٨) المصدر السابق ج١ص١٨٦.

(٩) المصدر السابق ج١ص١٨٩.

عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسّياسة وهذه الطّبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال العاديّة كلها عندهم الرّحلة والتّغلب وذلك مناقض للسّكون الّذي به العمران ومناف له"(١)، ولأجل كل ذلك يصعب ويستحيل قيام نظام سياسي أخلاقي ديني مغاير لما هو معلوم.

إلا أن هناك ما هو مجهول للناس وغير معلوم ولا يراد له أن يُعلم وهو قيام نظام سياسي عربي إسلامي بحق ومتطور، قام في بيئة عربية بل في أصل العروبة وهي اليمن، وأبرز معالم هذا النظام كما يلي:

- أن تولي الحكم فيه عن طريق الفضل والطلب، وذلك من خلال توفر شروط عديدة تتناسب مع طبيعة المنصب، والدعوة كوسيلة للترشح.
- قيام النظام السياسي فيه هو نتيجة توافق إرادة الأمة مع إرادة الإمام لغرض تطبيق القانون - الكتاب والسنة - على الجميع، مع قيام حقوق متبادلة بينهما "إن لكم علي حقا، وإن لي عليكم حقا"(٢)، "وليس للإمام أن ينتقص الرعية حقها، ولا للرعية أن تنتقص حق إمامها"(٣).
- الإمام فيه ليس إلا نائب عن الأمة في تطبيق القانون، ومحكوم برقابة دينية وشعبية في تطبيقه.
- يتهرب فيه المتأهل للإمامة عن دعواها خوفاً من الله أو من وجود من هو أكمل منه وأقدر ويجبر على تقلدها، "والله والله لو علمت أن أحداً في هذا العصر أقوم بهذا الأمر مني

(١) تاريخ ابن خلدون ج١ص١٨٧.

(٢) أنساب الأشراف ج٢ص٣٨٠.

(٣) الجامع الكافي خ.

.. لأتبعته جداً حيث كان، وأقاتل بين يديه"[1]، "الذي لا إله إلا هو وحق محمد ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختياراً، ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة علي، ولوددت أنه كان لي سعة في الجلوس"[2].

– ويقول فيه الإمام للأمة: "بيني وبينكم هذا – المصحف – آية آية، فإن خالفت ما فيه بحرف فلا طاعة لي عليكم، بل عليكم أن تقتلوني أنا"[3].

إن نظاماً كهذا لجدير بالعناية والاهتمام بل والافتخار فوجود الصيغة العقدية الاجتماعية فيه قبل مولد كبار رموز الديمقراطية (جون لوك) و(جان جاك روسو) – صاحبي نظرية العقد الاجتماعي – ب٩٢٢ سنة، بالإضافة إلى تفوق صيغة العقد في هذا النظام بالشرعية الدينية والممارسة العملية لا التنظيرات الخيالية مستحيلة التطبيق كالديمقراطية نموذجاً، وفي هذه الرسالة المراد تحقيقها وهي (رسالة الإمام الناصر لدين الله إلى أهل طبرستان) لتأكيد على ذلك، مع تضمنها على الكثير من الفوائد، وتأتي أهميتها من جوانب ثلاثة: تاريخي، وسياسي، وإخباري.

الأول: الجانب التاريخي وقد جاء فيه تأريخ للفترة الزمنية في اليمن تحديداً نهايات القرن الثالث من الهجرة، مؤكداً حقائق تاريخية منشورة في كتب التاريخ تمثلت فيما يلي:

– أن اليمن قبل وصول الإمام الهادي عليه السلام كانت تعاني من الويلات في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وكان التمزق والتفرق غالب على أهلها، مع انعدام القيادة الراشدة لهم.

---

(١) سيرة الهادي إلى الحق ص٥١.

(٢) سيرة الهادي إلى الحق ص٥٢.

(٣) سيرة الهادي إلى الحق ص٥١.

– أنه بالنظر إلى الأوضاع السيئة التي عانت منها اليمن كان ظهور الإمام الهادي إلى الحق مخلصاً له منها.

– بوصول الإمام الهادي إلى اليمن حدث تحسن للأوضاع في جميع النواحي، لا سيما الناحية السياسية والدينية، وقد حاول الهادي جاهداً الإصلاح الشامل لليمن وتحمل لأجل ذلك المتاعب والمشاق والآلام حتى توفاه الله تعالى.

– بيان جرائم علي بن الفضل القرمطي في مناطق من اليمن وذكر بعض أقواله وأفعاله من الكفر: كادعاء النبوة والالحاد والقتل والذبح والسبي، وما عاناه منه من تعرض لذلك أو سمع بها.

– بيان مطالبة أهل اليمن للإمام المرتضى ع بالنهوض بالإمامة واعتذاره عن ذلك، وأيضاً مطالبتهم للإمام الناصر ع واعتذاره ثم قبوله المشروط.

– بيان عمق العلاقة بين اليمن وطبرستان وذلك من خلال زيدية طبرستان والأئمة (الهادي، المرتضى، الناصر) ومدى الحب والولاء بينهم، والتواصل بالكتب والرسائل والأشخاص.

الثانية: الجانب السياسي ولا يقل أهمية وقيمة عن الجانب التاريخي وقد جاء فيه من البيان والحقائق ما يلي:

– بيان عظمة الإمامة نظرياً وعملياً باعتبارها خالفة للنبوة في الفكر الزيدي ولأجل ذلك وضعت الشروط اللازمة لها والكيفية الصحيحة لقيامها، مع التخوف من دعواها لمن تأهل لها لجسامتها، والإمامان المرتضى والناصر عليهما السلام فيها هذه الرسالة خير دليل على ذلك، مع استحقاقهما لها من حيث الكامل والمطالبة بالدعوة لهما.

- بيان مع التحذير الشرعي لخطر تولي أموار الناس ممن لا كفاءة له ولا قدرة له على الإدارة وتطبيق العدل وإزالة الظلم والفساد، وذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

- التأكيد على مسألة طريقة تولي الإمامة من خلال الفضل والطلب لا العهد والتغلب، وقد توهم البعض أن الإمام المرتضى ع إنما تولى الإمامة بعهد من أبيه الهادي ع وفي هذه الرسالة ما يبطل هذا القول، فبعد وفاة الإمام الهادي ع شغر منصب الإمامة، فأقبل الناس عند ذلك إلى الإمام المرتضى – لما علموا من كمال الشروط لديه – طالبين البيعة له وما دار بينهما بخصوص هذه المسألة كما ذكره الإمام الناصر.

- بيان الكيفية التي من خلالها تمت البيعة للإمام الناصر وما دار حولها من أخذ ورد بين الإمام والناس، وأنه لم يتسلم الأمر من أخيه كما ذكرت بعض المصادر، وقد خلت المصادر الأخرى عن تفصيل هذا الأمر.

- بيان سمو أخلاق المتأهلين للإمامة وغايتهم ومقاصدهم السامية منها، وأن مسألة الترشح للإمامة ليس لغرض دنيوي قط وإنما الغرض قيام الأكمل والأكفأ لها والتسليم من الجميع له، وقد جاء في الرسالة تعظيم الإمام الناصر ع للإمام المرتضى ع مع شدة تواضع يندر وجوده في غير هذه البيئة، فقد كان الإمام الناصر ع – مع كمال الاستحقاق – يرجو قيام الإمام المرتضى بديلاً عنه، وهذا يؤكد على مسألة أخلاقية وشرعية التعارض أو التأهل لمنصب الإمامة وقد تم بيان هذه المسألة وغيرها بمزيد من التفصيل في (النظام السياسي الزيدي دراسة تحليلة مقارنة).

الثالثة: الجانب الإخباري أي مصدر هذه المعلومات وهو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام، ولا يخفى مكانته الكبيرة في الإسلام فهو أحد أعلامه، وإمام للزيدية واليمن، ورمز ومرجع لأهل العدل والتوحيد وهذا يجعل قيمة بالغة لما يصدر عنه فسعة علمه

وعدالته تجعل ما اورده محل للتصديق والاستفادة والتقليد، ومن يتأمل ما كتبه في هذه الرسالة يتأكد على عظيم قدره وشدة ورعه وزهدة وعلمه.

٢٧ محرم ١٤٣٨هـ.

٢٠١٦/١٠/٢٨م.

التعريف بالأئمة

الهادي إلى الحق.

المرتضى لدين الله.

الناصر لدين الله.

الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام

هو: يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، أمير المؤمنين، الهادي إلى الحق المبين، أبو الحسين(١).

أمه: فاطمة بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أم الحسن(٢).

مولده: ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ، ونشأ في ظل أسرة علوية علمية كريمة، فأخذ عن آبائه علومه، وكان في الورع، والزهد، والعبادة إلى حدٍّ تقصر العبارة دونه، وظهور ذلك يغني عن تكلُّف بيانه، "ولأن الزهد أمر شامل لبيت القاسم بن إبراهيم عليه السلام عام في أولاده وأسباطه إلى يومنا هذا"(٣).

مكانته: احتل الإمام الهادي مكانة عالية في الفكر الإسلامي عموماً في الزيدية والعدل والتوحيد خصوصاً، وقد عبر عن عظيم قدره ومكانته أناس من خارج الزيدية وبهم نكفتي بذكر أوقالهم كما يلي:

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٢٧.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص١٧١.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٢٨.

– النسابة علي بن أبي الغنائم العمري – المتوفى سنة ٤٤١هـ –: "الهادي الجليل الفارس الدين الورع امام الزيدية، وكان مصنفا شاعرا ظهر باليمن، مات سنة ثماني وتسعين ومائتين، وكان يتولى الجهاد بنفسه ويلبس جبة صوف وكان قشفا رحمه الله"(١).

– الإمام علي بن حزم الظاهري – المتوفى سنة ٤٥٦هـ –: "ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن ؛ فمنهم: جعفر الملقب بالرشيد، والحسن المنتخب، والقاسم المختار، ومحمّد المهدي، بنو أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي ابن إبراهيم طباطبا؛ وليحيى هذا الملقّب بالهادى رأي في أحكام الفقه، قد رأيته، لم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد"(٢).

– المؤرخ النسابة أحمد بن محمد القرطبي – المتوفى نحو ٦٠٠هـ –: "وكان قدوم الهادي يحيى بن الحسين إلى صعدة لستة خلت من صفر سنة أربع وثمانين ومائتي سنة وكان بين خولان فتنة عظيمة وربيعة فاصلح بينهم واتفقت كلمتهم فملكوه بلاد خولان، وساروا معه إلى اليمن حتى ملكها، وكانوا عمودا أمره ونظام دولته، فأقاموا على ذلك حياة يحيى بن الحسين الهادي وحياة ابنه محمد بن يحيى وحياة ابنة الناصر بن يحيى"(٣).

– العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الذهبي – المتوفى سنة ٧٤٨هـ –: "يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا العلوي ، كان قد غلب على اليمن ، ودعي له بصنعاء وما والاها عنه ، وضربت السكة باسمه ، ثم خرج من صنعاء بعد غلبة القرامطة ، فصار إلى صعدة ، وتسمى

(١) المجدي في أنساب الطالبيين ص٢٣١.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص٤٤.

(٣) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب.

بالهادي أبي الحسن ، وملك نجران وتلك النواحي ، وخطب له بأمير المؤمنين ، وكان حسن السيرة ، مات سنة ثمان وتسعين ، قام بعده ولده محمد ، ولقب المرضى"(١).

– المؤرخ أحمد بن يحي العمري – المتوفى سنة ٨٢١هـ –: "الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا ، خطب له بإمرة المؤمنين في حال أبيه ، ... وبويع بعده لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين ، والخليفة إذ ذاك المعتضد ، وكان أول ما عرف من أدبه ، وعلم من شرف مطلبه أن أهديت إليه جارية تليق به ، فقال:

كفّـــي لحاظـــك لـــيس هـــذا وقتهـــا بـــل وقـــت كـــلّ مهنّـــد وســـنان
أمطـــــاعن الآســـــاد في غاباتهـــــا حاشـــــا تـــــرود مـــــرابض الغـــــزلان

ثم أعادها إلى سيدها ، وقال له: هذه بضاعتك ردت إليك ، وهذا نظير ما رمته من الفائدة في إهدائها، وله مصنفات في الفقه وأدب طائل ، وتوفي بصعدة في ذي الحجة سنة ثمان ومائتين"(٢).

– المؤرخ النسابة أحمد بن علي المعروف بأبن عنبة – المتوفى سنة ٨٢٨هـ –: "أما يحيى الهادى بن الحسين بن الرسى ويكنى أبا الحسين ، كان إماما من أئمة الزيدية جليلاً فارساً ورعاً مصنفاً شاعراً ، ظهر باليمن ويلقب بالهادي إلى الحق ، وكان يتولى الجهاد بنفسه ويلبس جبة صوف ، له تصانيف كبار في الفقه قريبة من مذهب أبى حنيفة"(٣).

---

(١) تاريخ الإسلام ج٢٢ص٣٢١.
(٢) مسالك الأبصار ج٢٤ص٣٩.
(٣) عمدة الطالب ص١٧١.

– العلامة المحدث يحيى بن أبي بكر العامري – المتوفى سنة ٨٩٣هـ –: "وقد قاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين فقام منهم بنجد اليمن نحو بضع وعشرين إماماً ، أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، كان مولده بالمدينة ، ومنشاؤه بالحجاز ، وتعلمه به وبالعراق ، وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانين ومائتين ، وكان جاء إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية ، فجاهدهم جهاداً شديداً ، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم في شيء منها ، وكان له علم واسع ، وشجاعة مفرطة"(١).

– العلامة أحمد بن محمد الأدنه – المتوفى في ق ١١هـ –: "يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو الحسين .. ويلقب بالهادي ، ولد في المدينة في سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان عالماً عاملاً وله مصنفات كالأحكام والمنتخب والتفسير في معاني القرآن، مات بصعدة في شهر ذي الحجَّة سنة ثمان وتسعين ومائتين"(٢).

– العلامة محمد بن أحمد أبو زهرة – المتوفي سنة ١٣٩٤هـ –: "هو الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ، فهو حفيد الرسي كما أشرنا من قبل ، وقد ولد بالمدنية سنة ٢٤٥ ، وعكف على الفقه يدرسه من كل نواحيه ، وفي كل مصادره ، وقام هادياً مرشداً يدعو إلى الله سبحانه وإلى صراط مستقيم ، وكان مرجعاً في الدين من كل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة يسألونه ويستفتونه ، وهو يرد عليهم برسائل قيمة أثرت عنه ، يدافع فيها عن القرآن والسنة ، ويبين الحق الذي يرد زيغ الزائغين"(٣).

---

(١) الرياض المستطابة في معرفة من روى في الصحيحين من الصحابة ص٣٠٧.

(٢) طبقات المفسرين ص٤٥.

(٣) الإمام زيد حياته وعصره – آراؤه وفقهه ص٥٠٩.

- المؤرخ خير الدين بن محمود الزركلي - المتوفى سنة ١٣٩٦هـ -: "يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي: إمام زيدي ، ولد بالمدينة ، وكان يسكن " الفرع " من أرض الحجاز، مع أبيه وأعمامه ، ونشأ فقيها عالماً ورعاً ، فيه شجاعة وبطولة ، وصنف كتباً ... وراسله أبو العتاهية الهمداني (وكان من ملوك اليمن) ودعاه إلى بلاده، فقصدها، ونزل بصعدة سنة ٢٨٣ هـ في أيام المعتضد، وبايعه أبو العتاهية وعشائره وبعض قبائل خولان وبني الحارث بن كعب وبني عبد المدان ، وخوطب بأمير المؤمنين، وتلقب بالهادي إلى الحق ، وفتح نجران، ... وملك صنعاء سنة ٢٨٨ وامتد ملكه، فخطب له بمكة سبع سنين، وضربت السكة باسمه"(١).

- القاضي عبدُالله عبد الوهاب الشمَاحي - المتوفي سنة ١٤٠٦هـ -: "لقد كان الهَادِي مثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه، مترفعاً عن سفاسف الأمور، وعن المتع، شجاعاً في المعارك والأهوال، وفي تطبيق ما يؤمنُ به ويدعو إليه، معتدلاً حتى مع أعدائه"(٢).

- الأديب أحمد بن عبد الرحمن المعلمي - المتوفى سنة ١٤٢٥هـ - عن سيرة الهادي: "انها سيرة نبي .. لا سيرة انسان عادي ، اشهد انه من افذاذ البشرية وعظماء الإنسانية"(٣).

- الدكتور أحمد صبحي - أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية -: "ولم يكن في حربه يتبع هارباً ولا يجهز على جريح ، وإن طلب المهزومون الأمان أمنهم ورد إليهم أسلابهم ، وكان يتشدد على عسكره ان لا يدخلوا الزرع ولا يستحلوا لأنفسهم شيئاً من ثمار

---

(١) الأعلام ج٨ص١٤٠.

(٢) اليمن الإنسان والحضارة ص١١٦.

(٣) إمام اليمن أحمد حميد الدين ص١٢٣.

المزارعين ، وحينما اغتصب بعض جنده في ((أثافت)) شيئاً من الخوخ غضب وثار واحتجب عنهم وهمَّ بتركهم وقال : لا يحل لي أن احارب بمثل هؤلاء ، ولا اكون كالمصباح يحرق نفسه ويضي لغيره ، والله ما هي إلا سيرة محمد أو النار ، ولم يسكن غضبه حتى أبدوا ندمهم وتوبتهم عما فعلوا .

سُئلت : ألا تعتقد في أن هناك مغالاة من أتباعه في إضفاء هذه الأوصاف عليه ؟

فقلت : لو لم يكن ذلك حقاً لما كانت موالاته إلى يومنا هذا ولافتضح المستور كما تفتضح سير الملوك بعد موتهم مهما خلعوا على انفسهم أو خلعت بطانتهم عليهم من تمجيد ، فشتان بين الأئمة وبين الملوك ، وشتان بين أتباع يوالون إلى اليوم وبين بطانة تنافق زمن السلطة"[1].

– الدكتور محمد عمارة: "فلقد أفاض كثيراً في تدعيم الحجج لأهل العدل والتوحيد كما أفرد الكثير من رسائله وكتبه لهذا الموضوع ، واهتم بتفنيد كل ما يخطر للمجبرة على بال من الحجج والشبهات ، وخاصة في كتابه الذي رد به على الحسن بن محمد بن الحنفية ، .. والذي يعد عملاً فكرياً بالغ الأهمية والخطورة في موضوع العدل والتوحيد "[2].

وقال: "وإلى جانب الثراء الفكري الذي نلمسه عند الإمام يحيى من الكتب والرسائل التي بقيت لنا من آثاره الفكرية ، فلقد كان رجل سيف وشجاعة وقتال .. ولقد كانت مقدرته الحربية تمتاز بجوانبها العملية ، إذ كان يشارك بنفسه في المعارك والقتال"[3].

---

(١) في علم الكلام – الزيدية ص١١٤.

(٢) رسائل العدل والتوحيد ج١ص١٠٣.

(٣) رسائل العدل والتوحيد ج٢ص١٩.

وقال: "وإن نظرة سريعة على تعداد الكتب والرسائل التي حفظت لنا من آثار الإمام يحيى حتى الآن ، والتي تناول فيها الكثير من مناحي الفكر الإسلامي ، تشير إلى مدى علمه وسعة أفقه وطول باعه في هذا الميدان"[1].

آثاره الفكرية: خلف الإمام الهادي عليه السلام تراثاً فكرياً كلامياً فقهياً جليلاً له التأثير البالغ في الفكر الإسلامي عموماً وقد تميز هذا التراث بالأصالة الإسلامية عقلاً وقرآناً ومن ذلك:

كتاب الأحكام، والمنتخب، وكتاب الفنون، وكتاب المسائل، ومسائل محمد بن سعيد، وكتاب التوحيد، وكتاب القياس، وكتاب المسترشد، وكتاب الرد على أهل الزيغ، وكتاب الإرادة والمشيئة، وكتاب الرضاع، وكتاب المزارعة، وكتاب أمهات الأولاد، وكتاب العهد، وكتاب تفسير القرآن ستة أجزاء، ومعاني القرآن تسعة أجزاء، وكتاب الفوائد جزآن، وكتاب مسائل الرازي جزآن، ،كتاب السنة، وكتاب الرد على ابن الحنفية، وكتاب تفسير خطايا الأنبياء، وكتاب أبناء الدنيا، وكتاب الولاء، وكتاب مسائل الحسين بن عبدالله (الطبري)، ومسائل ابن أسعد، وكتاب جواب مسائل نصارى نجران، وكتاب بوار القرامطة، وكتاب أصول الدين، وكتاب الإمامة وإثبات النبوة والوصاية، وكتاب مسائل أبي الحسين، وكتاب الرد على الإمامية، وكتاب الرد على أهل صنعاء، والرد على سليمان بن جرير، وكتاب البالغ المدرك في الأصول شرحه الإمام أبو طالب، وكتاب المنزلة بين المنزلتين.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: وقد تركنا قدر ثلاثة عشر كتاباً كراهة التطويل، وهي عندنا معروفة موجودة[2].

---

(١) رسائل العدل والتوحيد ج٢ص٢٠.

(٢) التحف شرح الزلف ص١٧٧.

وفاته: بعد حياة مليئة بالجهاد والاجتهاد توفاه الله تعالى عشية الأحد ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ، عن ٥٣ عاماً، ودفن عليه السلام في جانب من المسجد الجامع بصعدة حرسها اللّه، قبره مشهور مزور[١].

---

(١) الإفادة ص١٤٥.

الإمام المرتضى لدين الله عليه السلام

هو محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم(١).

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٢).

مولده: ولد سنة ٢٧٨هـ(٣) كما هو مذكور في الكتب مع أن مولده حقيقة كان قبل ذلك العام بكثير لعله ٢٦٨هـ فأقل؛ لأنه قدم مع أبيه إلى اليمن سنة ٢٨٤هـ على هذا المولد يكون عمره ست سنوات! وقد شارك في الجهاد وتعرض للأسر وكيف يعقل ذلك من طفل صغير غير مكلف بذلك، ونشأ على طريقة آباءه في التقوى واليقين والتحلي بآداب الأئمة الهادين.

مكانته: يعد الإمام المرتضى من أعلام الفكر الإسلامي وله أثر في علم الكلام والفقه والحديث والتفسير ظهر ذلك جلياً في مصنفاته والتي افاضت في كل باب هي فيه، واصبحت مرجعاً هاماً في الأصول والفروع، وكان للإمام المرتضى أثر كبير في دولة الإمام الهادي، ويعتبر الإمام المرتضى ثاني إمام جامع للشروط المعتبرة يتولى السلطة السياسية في

---

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٣٣، الأعلام ج٧ص١٣٥.

(٢) الشجرة المباركة ص٢٥.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٣٣، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص٣٣١، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص٢٥.

دولة اليمن، ويعتبر الإمام المرتضى من أئمة الزيدية المعتبرين وله مكانة رفيعة في المذهب أصولاً وفروعاً، بل واسناداً كونه من رواة آثار أبيه الهادي (الأحكام والمنتخب والفنون) وغير ذلك[1].

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثياً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك:

كتاب الأصول في التوحيد والعدل، وكتاب الإيضاح في الفقه، كتاب النوازل جزآن، وجواب مسائل المغفلي، وجواب مسائل مهدي، وكتاب النبوة، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة، وكتاب الرد على الروافض، وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الشرح والبيان ثلاثة أجزاء، وكتاب الرضاع، وكتاب مسائل القُدَمِيين، وكتاب مسائل الحائرين، وكتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء، وكتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء، وكتاب مسائل مهدي أربعة أجزاء، وكتاب مسائل ابن الناصر، وكتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء، وكتاب مسائل عبدالله بن سليمان، وجواب ابن فضل القرمطي، وفصل المرتضى، وكتاب النهي[2].

وفاته: توفي الإمام المرتضى لدين الله سنة ٣١٠هـ بصعدة حرسها اللّه، وله اثنتان وثلاثون سنة كما قيل، ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام[3].

---

(١) الأخبار الضعيفة والموضوعة عند الإمام المرتضى ص٣٠.

(٢) التحف شرح الزلف ص١٩٠.

(٣) الإفادة ص١٧٠.

الإمام الناصر لدين الله عليه السلام

هو أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم[١].

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢].

مولده: ولد بعد ميلاد أخيه المرتضى ولم أقف على سنة معينة، "ونشأ على الزهادة، وتربى على النسك والعبادة، حتى كان ذلك له ديدناً وعادة، واقتبس من نور والده الوَّقاد، وكرع في علم السلف والأجداد، حتى ارتوى من معين علمهم، واستمطر ربابات فهمهم، فله التصانيف المفيدة، والكتب العتيدة، وهي مشهورة، وفي الكتب مذكورة"[٣].

مكانته: يعد الإمام الناصر من أعلام الفكر الإسلامي وله أثر في علم الكلام والفقه والحديث والتفسير ظهر ذلك جلياً في مصنفاته والتي افاضت في كل باب هي فيه، واصبحت مرجعاً هاماً في الأصول والفروع، ويعتبر الإمام الناصر ثالث إمام جامع للشروط المعتبرة يتولى السلطة السياسية في دولة اليمن، ويعتبر الإمام الناصر من أئمة الزيدية المعتبرين وله مكانة رفيعة في المذهب أصولاً وفروعاً.

---

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٧١.

(٢) الشجرة المباركة ص٢٥.

(٣) مآثر الأبرار.

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثياً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك:

كتاب التوحيد في نهاية البيان والتهذيب، وكتاب النجاة ثلاثة عشر جزءاً، وكتاب مسائل الطبريين جزآن في الفقه، وكتاب علوم القرآن، وأربعة أجزاء في الفقه، وكتاب التنبيه، وكتاب أجاب به الخوارج الإباضية، وكتاب الدامغ أربعة أجزاء[1]، ورسائل إلى طبرستان، والتعزية للإمام المرتضى، والموجز في فقه الإمام القاسم الرسي[2].

وفاته: بعد حياة مليئة بالجهاد والاجتهاد توفاه الله تعالى سنة ٣١٥هـ، ودفن بصعدة حرسها اللّه إلى جنب أبيه وأخيه[3].

---

(١) التحف شرح الزلف ص١٩٧.

(٢) تم العثور عليها بحمد الله مؤخراً.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٧٢.

وصف المخطوط

تقع الرسالة ضمن مجموع في مخطوط يقع في (٣٠٩) صفحة ويبدأ بها وعليه تمليك ليحيي الحسين بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن يوسف اليحيري المسمري، وقال ابن أبي الرجال عن آل اليحيري وعن مالك المخطوط: "جماعة أجلاء علماء، بحار متكلمون، نحاة لغويون، يعرفون الهندسيات والاقليدسات، وأنواع العلوم الإسلامية، ولهم في النظم والنثر كل سابقة أولى، وكل سهم أعلى، فمنهم الثلاثة الأخوة يحيي والحسن والحسين بنو عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن شعثم اليحيري المسمري، وفيهم المتقدم الزمان كيحيي، والمتأخر العمر كالحسين، وللحسين ولد علامة بارع في فنون الأدب، مفخراً لأهل اليمن اسمه يحيي بن الحسين بن عبد الله بن أحمد، وهو شارح المكنون كتاب القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، وفاته سابع شهر رمضان الكريم سنة سبع وسبعين وخمسمائة، قال بعض السادة آل الوزير: غالب الظن أنهم في نيف وعشرين وخمسمائة، وليحيي بن عبد الله أكبر الثلاثة الإخوة ولد اسمه سليمان بن يحيى بن عبد الله علامة شهير، فصيح بليغ"[(١)]، لم يدون على المخطوط ناسخه ولا تاريخ النسخ إلا انه من المحتمل أن يكون نسخ في القرن الرابع، وبعض مواصفات المخطوط كما يلي:

- العنوان: (رسالة الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما إلى أهل طبرستان).
- أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين".
- آخره: "وصلى الله على محمد النبي وعلا اهل بيته الطيبين وسلم تسليما".
- عدد الأوراق: ٣٧ ورقة.
- مقاس الورقة: ٢٦,٥ × ٢١,٠سم.

(١) مطلع البدور ومجمع البحور ج٤ص٣٦٣.

- عدد السطور: ١٣- ١٦ سطراً.

- المصدر: مكتبة (بافاريا) الألمانية في ميونخ.

نموذج من المخطوط

نص الرسالة

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

قد كنت كتبت إليكم في العام الماضي مع أبي عبدالله محمد ابن إبراهيم الرازي[1] رحمه الله كتاباً أشرح لكم فيه ما نحن سبيله من أمورنا وجميع إخواننا، فلما وصل إلى مكة أدركه ما لا بد منه من الموت المفني للأولين والأخرين، وإليه يجري الباقون حتى لا يبقى إلا الله رب العالمين، فمات عفا الله عنا وعنه، وذهبت الكتب التي كانت معه ولقد كنت أوصيت الحسن بن قارون[2] وصاحبه حفظهما الله ورعاهما، وأرجوا أن يكونا قد أوصلاه لكم إن شاء الله، فلما ذهبت الكتب رأيت أن اجدد لكم أكرم الله عن النار وجوهكم ذكر أخبارنا وأحوالنا وما نحن فيه عليه وسبيله حتى يتقرر عندكم على حقيقة ويتبين لكم على صحة.

فأول ما نذكره ونبتدئ بشرحه بعد توحيد ربنا والصلاة على نبينا صلى الله عليه وعلى أهل بيته ذكر إمامنا وإمامكم الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وذكر ما افترض علينا من نسق فضائله ومقاماته من وقت مصيره إلى اليمن ومقامه به إلى وقت وفاته.

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما توفر لدي.

(٢) لم أجد له ترجمة فيما توفر لدي.

[حال اليمن قبل مجيء الإمام الهادي عليه السلام]:

فكان من أمره صلوات الله عليه أنه صار إلى اليمن وبها الجبابرة من أهلها[١]، وكان مذهبه وعزمه، وسره وإعلانه ما أظهر في البلد من المعروف الذي كان بها معدوماً، وإماته ما أمات من البدع المخالفة للحق بدمغه لها وحرصه في إماتتها وإخمادها.

ولقد قدم اليمن – رضوان الله عليه – وإن أهلها لا يعرفون الحق، ولا يميزون الكذب من الصدق، ولا يدينون لله بدين، ولا يعرفونه بحقيقة يقين، الذين كانوا بها من الجبارين الظلمة المخالفين إذ كانوا يصدونهم عن ذلك، ويردونهم عن القول به[٢]، بل كانوا يتخذونهم خولا وأموالهم دولا، يملكون رقابهم، ويدمغون بالباطل رؤسهم، ويجعلونهم عبيداً يحكمون فيهم بأهوائهم، ويمثلون فعل من مضى من جوره [آبائهم][٣]، أقوالهم مختلفة، وقلوبهم غير مؤتلفه، فهم فرق واشتات[٤]، وأحياء كأموات، مصرون على ما لا يرضى الله به، وقد كان فيهم مع ذلك من المحقين انفار يسير[٥]، يطلبون الحق ويسألون عن الصدق ويبحثون عن الإمام، ويقولون بالعدل على ذي الجلال والإكرام، ويقولون ما هم يخفون، ويكتمون الصحيح من مقالهم خوفاً من الظلمة ورعباً من الفسقة.

[وصول الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن]:

فلما وصل الهادي إلى الحق – صلوات الله عليه ورضوانه – إلى اليمن نزع إليه المحقون من أهلها فأتبعه القليل منهم، وعزوا به وقووا بظهوره، فأنار لهم حقهم وظهرت كلمتهم

---

(١) كالدعام وآل يعفر وطريف.

(٢) قال نشوان الحميري: حين وليت بنو أمية اليمن، وكان بنو أمية يسمون المعتزلة: شيعة، لمحبتهم علياً رضي الله عنه، فضربوا من الأبناء لهذا السبب اثنتين وسبعين رقبة، فارتدوا عن ذلك. الحور العين ص٢١٢.

(٣) لعلها ما اثبت.

(٤) كانت اليمن ممزقة يتنازعها آل يعفر وآل زياد وآل طريف وآل الضحاك وآل الكرندي وآل زريع وآل الدعام والقرامطة.

(٥) كأبي العتاهية عبدالله بن بشر، وقبائل من خولان الفطيميون واليرسميون.

وأعلن التوحيد والعدل، وزال الظلم والجهل، فنطقوا بعدل الله وتوحيده صراحاً وباينوا أعداء الله كفاحاً، وكانوا كما ذكر الله جلَّ ثناؤه إذ يقول ويحكي عمن ارتضى قوله وعمله من أتباع الرسل: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**﴾[هود:١١٦]، وقوله: ﴿**وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[هود:٤٠].

فنهض الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه - قائماً بأمر الله، صادعاً بحقه، مثبتاً لحججه، مظهراً لنوره، يدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، مجاهداً من عند عن طاعة الله، وقاتلاً لمن ارتد عن دين الله، مستنصراً في حق الله، قد باين الظالمين وباينوه، وحاربهم وحاربوه.

والْتَفَّت معه عصابة مؤمنة صابرة، فقاسا من الحروب الهائلة، والفتن المظلمة أمور يجل وصفها؛ لعظيم خطرها فنالته في الله عز وجل الكلوم، والجراحات، والمحن والأسباب المعضلات، ولاقى في الله جلَّ ثناؤه ما لاقى من كان قبله من آبائه الصادقين وأجداده المصطفين.

وهو من العصابة القليلة والشرذمة اليسيرة، فقاتل أهل العدد والكثرة، والسلاح والقوة، والجيوش الكثيفة، والعساكر العظيمة ممن كان يلاقيه من الفجرة الخائنين الظالمة المخالفين: من آل يعفر(١)، وآل طريف(٢)، ومن مالأهم ومال إليهم من سائر الجبارين العتاة الفاسقين الذين كانوا في اليمن، من القرامطة والملاعين الذين اجتمعت معهم الخيل والرجال وكانوا أهل الأثاث والأموال، فلم يأل بجهده وطاقته إقامة حق ربه، وظهور دينه، وعلو كلمته حتى ظهر أمر الله وهم كارهون بعد إبلائه في الإسلام، وقيامه بالحق في كثير من الأيام.

---

(١) منهم أسعد بن أبي يعفر، وعثمان بن أحمد بن يعفر.

(٢) منهم إبراهيم بن خلف بن طريف.

فباشر بنفسه الجيوش، ولقي الحروب، وفض العساكر، وحارب القبائل، وهزم القنابل[1]، واوغل في الذمر[2]، ودخل المدخل العظيم الذي قد شهده إخواننا وإخوانكم الصائرون إلينا من قبلكم، فعرفوا مقامه وصدقوا مقاله، وجاهدوا معه حتى استشهد بين يديه اكثرهم، شكر الله سعيه وسعيهم، وأفلح حجته وحجتهم، وأجزل ثوابه وثوابهم، وجمع بينهم جميعاً مع نبيهم محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى لله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الطيبين.

فلن يترهم الله تلك الأعمال الرضية، والمواقف السنية، والمقامات الكريمة بل [فإن الله][3] يثيبهم على ذلك أفضل ثواب، ويؤمنهم من سوء الحساب، وأليم العذاب [فيأطنو][4] بالهم وحسن مآب.

فلقد كان الهادي إلى الحق – صلوات الله عليه – ومن كان معه من شيعته الصابرين عنه عظيم المحنة، وفادح النازلة كما قال الله سبحانه: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:١٤٦].

(١) القنابل: الرجل الغليظ الشَّديد والعظيم الرأس، وطائفةٌ من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه. الصحاح ج٥ص١٨٠٥، المعجم الوسيط ج٢ص٧٦١.

(٢) الذمر: الحض والتهدد والغضب والتشجيع. تاج العروس ج١١ص٣٨٨.

(٣) مضافة فوق يثيبهم.

(٤) لعلها المثبته.

[انجازات الإمام الهادي عليه السلام]:

وبعد ظهرت بالهادي إلى الحق - صلوات الله عليه - وبشيعته المحقين القائمين معه حقوق دارسه، وأقيمت أحكام معطلة، ووظفت فرائض متروكه، وثبتت شرائع في الدين مؤكدة، وأجدَّت حدود مهمله: من قطع سارق، وجلد شارب، ونفي محارب، ورجم زانٍ محصن، فنفى المنكر، وأظهر المعروف الأكبر، وقلَّت معه المعاصي لله في السر والعلانية.

ولم يَخَفْ في الله لومة لائم، ولم يدارِ شريفاً، ولم يحف دنيئاً ولا وضيعاً ولا رقيقاً، بل والله حملت عليه عساكر الظالمين، وأجمعت عليه قلوب المجرمين ليزيلوا حقه ويثبتوا باطلهم فدمغهم بحقه كارهين وتركهم عزين متفرقين تصديقاً لقول رب العالمين إذ يقول سبحانه: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[الإسراء:٨١]، فولا أعداء الله وهم صاغرون، وعلن أمر الله وهم كارهون، وقيل بوحدانيته، وظهر عدله إذ جاهد في الله حق جهاده حتى لحق بربه نضر الله وجهه، وشكر سعيه، وحباه بأشرف منازل الرضوان، وجعل مقامه في الأئمة يوم القيامة أشرف مقام صلى الله عليه وعليه السلام، فما كان مقامه - رضوان الله عليه - مذموماً بل كان محموداً مودوداً مقصوداً.

[وفاة الإمام الهادي عليه السلام وطلب البيعة للإمام المرتضى ع]:

فلما توفي[1] صلى الله عليه واختار الله له ما لديه من جزيل ثوابه وكريم مآبه وأراحه من معاشرة الظالمين، ومقاساة الفاسقين الذين لا راحة - والله - لمؤمن في معاشرتهم، ولا آرب له في مقاساتهم، نقله إلى دار ثوابه ومستقر أولياءه فعليه أفضل صلاة المصلين وعلى آبائه الأئمة الطاهرين.

(١) يوم الخميس ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ.

اجتمع الناس(١) إلى الإمام أبي القاسم محمد ابن الهادي إلى الحق – جعلني الله من السوء فداه – يطلبون ببيعته ويحاولون نهوضه؛ لما علموا من جميل طريقته، وقصد حقيقته، وحسن طبيعته، وكريم سجيته، وكماله في علمه ودينه، وإذ وثقوا بورعه وعفافه، وصدق قوله؛ رغبوا عند ذلك أن يكون لهم إماماً، وأن يقوم فيهم مقام والده الهادي إلى الحق – صلوات الله عليه – فكره عليهم ذلك وأبا وأعرض وإلتوى(٢) للذي قد تقدم إليكم من علمه وشرح من أسبابه في تأليف كتبه(٣)، ولما قد عاينه ورآه من شرارة كثير من أهل دهره وقلة صدقهم وما قد عاين من قبح معاشرتهم مع ارتياده لنفسه وطلبه لما يقربه من ثواب ربه، وأرجوا ان يبلغه الله أمله ويعينه على صالح نيته وبلغنا صالحاً فيه وبه.

---

(١) يوم الخميس ٢ محرم سنة ٢٩٩هـ. سيرة الهادي إلى الحق ص٣٩٧.

(٢) إلتوى عن الأمر: تثاقل، امتنع، احجم.

(٣) خطب الإمام المرتضى عليه السلام عند تخليه عن الإمامة قائلاً: "ثم إنكم معاشر المسلمين، أقبلتم إليَّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه، وأردتموني أقبل بيعتكم، فامتنعت ودافعت، ولم أسلم من إجابتكم إلى ما طلبتم مني خوفاً من استيلاء القرمطي –لعنه الله– على بلادكم، وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم، فأجريت أموركم على ما كان الهادي يجريها، ولم ألتبس بشيء من عرض دنياكم، ولا تناولت قليلاً ولا كثيراً من أموالكم، فلما أخزى الله القرمطي، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[الأحزاب:٢٥] تدبرت أمري وأمركم، ونظرت فيما أتعرفه من أخلاقكم، فوجدت أموركم تجري على غير سننها، وألفيتكم تميلون إلى الباطل، وتنفرون عن الحق، إلى أن قال: وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله سبحانه، واشتغال خاطري بتدبير آياته، وإعمال فكري ونظري في أوامره، وزواجره، ومحكمه، ومتشابهه، وخاصه، وعامه، وأمره ونهيه، وناسخه ومنسوخه، فوجدته يوجب عليَّ التبري من هذا الأمر إيجاباً محكماً، ويلزمني تركه إلزاماً قاطعاً، فاتبعت عند ذلك أمر الله، ونزلت عند حكمه فإن تقم لله عز وجل علَّي بعد ذلك حجة، ووجدت على الحق أعواناً، وفي الدين إخواناً، قمت لأمر الله طالباً لثوابه، حاكماً بكتابه، وإن لم أجد على ذلك أعواناً صالحين، وإخواناً لأمر الله متبعين، لم أدخل بعد اليقين في الشبهة، ولم أتلبس بما ليس لي عند الله [فيه] حجة، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى:﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[الذاريات:٥٤] أمثلي يدخل في الأمور الملتبسة؟ هيهات! منع من ذلك الرحمن، وتلاوة القرآن والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزينتها، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم ميتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون وبما كسبت أيديكم مرتهنون، وما الله بظلام للعبيد، والسلام على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وآثر طاعة الله" المصابيح في السيرة ص٥٩٥-٥٩٧، الحدائق الوردية ج٢ص٨٥-٨٧.

[اليمن دون إمام وظهور جرائم علي بن الفضل القرمطي]:

وتوقف الناس على أحوالهم مدة من زمانهم وامسكوا فينة من وقتهم حولاً(1) أو قريباً منه حتى التاثت(2) عليهم الأمور وظهر فيهم الفجور وكثرت بكفرها الزنادقة وطغى الملعون القرمطي ابن فضل(3) – عليه لعنة الله – باليمن طغياناً عظيماً وكفر بالله كفراناً جسيماً وادعى النبوة وانتحل الرسالة، وثار [بلعنه](4) [ونجاسه](5)، وكفر كفراً صراحاً فأحل بعتوه وجرأته على الله، وظلمه الأمهات والبنات، والعمات والخالات، وانتهك الحرمات واحل المحارم المعضلات(6)، وحرم الحلال، وعاند الحق والبينات فسبى هو وأصحابه بفسقهم المؤمنات، وفضحو المسلمات فبيعت النسوان بالدراهم، وارتكبن بالعظائم، واستخدمن

(1) الحول: عام واحد.

(2) التاثت عليهم الأمور، إذا التبست واختلطت. تاج العروس ج5ص346.

(3) علي بن الفضل القرمطي، دخل صنعاء سنة 293هـ، روي أنه كان في عنوان كتبه إلى أسعد بن يعفر : "من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر".

(4) لعلها ما اثبت.

(5) لعلها ما اثبت.

(6) قال فيه بعض شعراء أهل عصره:

خـــذي العـــود يـــا هـــذه واضـــربي نقـــيم شـــرائع هـــذا النـــبي
تـــولى نـــبي بـــني هاشـــم وهـــذا نـــبي بـــني يعـــرب
فحـــط الصـــلاة وحـــط الزكـــاة وحـــط الصـــيام ولم يتعـــب
لكـــل نـــبي مضـــى شرعـــةٌ وهـــذي شـــريعة هـــذا الـــنبي
أحـــل البنـــات مـــع الأمهـــات ومـــن فضـــله زاد حـــل الصـــبي
إذا النـــاس صـــلوا فـــلا تنهضـــي وإن صُـــوِّموا فكلـــي واشـــربي
ولا تطلـــبي الســـعي عنـــد الصـــفا ولا زَوْرَة القـــبر فـــي يثـــربِ
ولا تمنعـــي نفســـك المعرســـين مـــن الأقـــربين أو الأجـــنبي
فكيـــف حللـــتِ لهـــذا الغـــريب وصـــرت محرمـــةً لـــلأبِ؟
ألـــيس الغـــراس لمـــن ربَّـــه وســـقّاه في الـــزمن المجـــدب
ومـــا الخمـــر إلا كمـــاء السمـــاء حـــلالاً فقدســـت مـــن مذهـــبِ

السلوك في طبقات العلماء والملوك ج1ص206.

استخدام البهائم، ونيل منهن الفجور والمكروه، وارتكبهن السفيه مع قتله – لعنه – للرجال[1]، وذبحه للأطفال، وحكمه بالمحال، وتركه للناس بأشر حال، فهو وحزبه كما وصف الله اخوانهم من المشركين إذ يقول سبحانه: ﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾[التوبة: ١٠].

انتقم الله منهم، وعجل هلاكه، واذل نخوته، وقطع دابره، وأحل بعقوبة نقمته، وجعل دائرة السوء عليه، وأخذه أخذ عزيز ذي انتقام، ولا أمهل له فقد ركب عباده وتار في بلاده بما لا يرضيه سبحانه، وحكم فيهم بما لم يحكم فيهم احد قبله من الفراعنة الطاغين والجبابرة المضلين.

انتصر الله منه لدينه بقوم مؤمنين يكون صفتهم كما قال الله سبحانه: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة: ٥٤]، صافية قلوبهم محقين، ينفرون في طاعة الله، ويجاهدون جميع أعداءه، ويسيرون في الأرض بحكمه مع إمام حق ناطق بصدق يخاف الله ويرجوه ويؤمن بيوم الحساب، فهو على ذلك قدير وهو عليه سبحانه هين يسير لأنه اللطيف الخبير.

وإنما فعل هذا القرمطي الملعون الذي وصفنا بأقصى اليمن النائية عنا، النازحة منا فأما حيث نحن مقيمون[2] فهو موضع مستور والله محمود.

---

(١) كان يجمع بين عدة من النساء في دار، فإذا كانت ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء، وقد تقع الأم للابن والأخت للأخ فيفجرون بهنَّ ليلتهم فمن امتنع من ذلك قتله وأباح دمه. مآثر الأبرار.

(٢) صعدة وما حولها، كانت وستبقى كما كانت بإذن الله تعالى.

[مطالبة أهل اليمن البيعة للإمام الناصر أحمد عليه السلام]:

ولما يا اخوتي – أكرم الله عن النار وجوهكم – خاف الناس عندنا وعظم الأمر عليهم لما بلغهم بل عاينه بعضهم من فعل هذا المجوسي الزنديق القرمطي المشرك بالله العاتي عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، اجتمع الناس عند ذلك إلي، وحملوا انفسهم عليّ وكان قولهم أن قالوا: هذا دين جدك محمد رسول الله – صلى الله عليه – مهتوك، والإسلام مستباح مفضوح، وقد كان أبوك الهادي الى الحق – رضوان الله عليه – يحامي دونه، ويجاهد اعداءه، ويقاتل القرامطة[1]، وغيرهم من الظلمة الجورة ويمنعه أن يخترم وأن يذل ويهدم، وأن يهان ويكلم، ومالك لا تنهض في أمر الله، وتحكم بسنة رسول الله، وتجاهد أعداء الله، وما بالك وأنت صحيح سوي، وذو مرة قوي، ونحن لك طاعة ومعك عدة وسند، وقوة نصر بين يديك، ونجاهد من عند عن طاعتك، ونذل من أرادك، ونصدم من قابلك، والله عز وجل يتولاك وينصرك، ويقيك ويكفيك، فما عذرك غداً عند الله وقد دعوناك إلى طاعته والذب عن الإسلام وحوزته؟

[اعتذار الإمام الناصر عليه السلام عن البيعة له]:

فأعلمتهم اكرمكم الله: أني لست بإمام! وأنا اعلم من هو أفضل مني في خصاله، وأجمع في كل أحواله، وأوميت وأشرت إلى أخي أبي القاسم محمد ابن الهادي إلى الحق – صلوات الله عليه –؛ لمعرفتي بعلمه، وقولي بفضله، وشهادتي بورعه وصدقه إذ كنت لا أعلم أحد يقوم بعد والده مقامه، ولا يستحق سواه الإمامة فأبيت وأعرضت والتويت وأقصرت عن الدخول فيما لا أحب وأتصرف عما لا يجب لي؛ مما غيري أحق به وأولى مني.

---

(١) قال القاضي عبدالجبار بن أحمد: "ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي رضي الله عنه لجهاد هم. وقد كان ابن حوشب هلك وبقي ابن الفضل، فهلك هو وابنه أمام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور" تثبيت دلائل النبوة ص٣٧٨، وعن أبي عبد اللّه اليمني – فارس الإمام الهادي – قال: "شهدت معه عليه السلام ثلاثا وسبعين وقعة مع القرامطة وكان يحارب بنفسه" الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص١٣٧.

[اعتذار الإمام المرتضى عليه السلام عن البيعة له]:

فسألوا الإمام – [أي المرتضى] – عند ذلك أن يقوم فيهم وأن يصلح شأنهم وأن ينفي عنهم ما يخافون على بلدهم مما قد شرحته لكم.

فأعلمهم: أنه متوقف حائراً رأيه، ويتدبر أمره، ويجمع بعد مدة على ما يستقيم له مما يقوم له به عند الله الحجة، وتتسق له به الدعوة وينتظر من يرغب في طاعة الله ويجب بمثلهم مجاهدة اعدائه.

فلما تقرر في مسامعهم مقاله وفهموا منه مراده أيسوا من قيامه حينئذ فأمسكوا من كلامه إلى أن يبلغ من امره اقتضاه ويتبعوا في ذلك طلبته.

[عودة أهل اليمن مجدداً لطلب البيعة للإمام الناصر أحمد ع]:

ثم عادوا إليَّ فقالوا: قد كلمنا إمامنا فأحسن جوبنا وبين عذره لنا والإسلام على ثوى وذهاب وزوال إلا أن يتداركه أحدكما أو ينهض فيه من يدفع عنه بأمركما؟

فرأيك – أكرمك الله – في القيام بالحق والأحكام حتى يقوم الإمام المستوجب للإمامة، المستحق للقيام فتسلم أنت ونحن إليه، ونجاهد جميعاً بين يديه فلا يذهب دين محمد عليه السلام من اليمن جملة ويدرس ويذهب صفحا، فالله الله في دين الله ودين جدك محمد رسول الله لا تهمله فتهلك!.

[رد الإمام الناصر عليه السلام على مطالبتهم البيعة له]:

ففكرت فيما قالوا ونظرت وتأملت في ذلك وتدبرت وعلمت ان الأمر على ما شرحوا.

فأوقفتهم من أمري على منهاج منير واضح مستبين فقلت لهم: لست بإمام، ولا أمير، ولا سلطان، ولا أنا ادعي شيئاً من ذلك ولا أدخل نفسي في شيء من المهالك، ولست أدعوكم، ولا أطلبكم، ولا آمركم، ولا انهاكم، ولا اقصر أيديكم، ولا اتتبع عثراتكم ولي منزل

يسعني ونعمة من الله تغمرني، لست أرغب فيما تحويه أيديكم، ولا أطلب ما ملكت أيمانكم، ولا أجعل نفسي للنار عرضاً؛ بل أخاف الله تبارك وتعالى فقد قال جدي رسول الله صلى الله عليه: ((**من ولي امر عشرة من المسلمين فما فوق ذلك، ثم لم يعدل كبه الله في النار على وجهه**))[1]، وقال في موضع آخر: ((**ما من والي يلي عشرة من المسلمين إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوة يداه إلى عنقه، يفكه عدله او يوبقه جوره**))[2].

وأنا أعوذ بالله من سخطه أو أن أدخل في شيء لا يرضيه، فما الدنيا بأسرها بدار لمن عقل، وامرها قد بت ولست بمعتد بها ولا راكن إليها، ولا ممن يتبع الهوى فيها، إنما يغنني فيها رضى ربي، والعمل بطاعة إلهي، وطلب النجاة من النار يوم الفزع الأكبر، يوم لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً.

فاقصروا يرحمكم الله عما لا حاجة لكم إليه من قبلي فقد عرفتكم ما فيه الكفاية من أمري.

[جواب أهل اليمن على رد الإمام الناصر عليه السلام]:

فقالوا: لم ندعك إلى الدخول في مأثم ولا القيام بغير حق ولا ظلم أحد، إنما دعوناك لما هو واجب عليكم، وفرض لازم لك إلى أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعين مظلوماً، وترد ظالماً، وتقوي حقاً، وتخمل باطلاً، وإلى أن تؤازرنا وتعيننا على البر والتقوى كما أمرك الله وإيانا فقال سبحانه: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة:٢].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٠ص٢٢٢ بلفظ: ((ما من وال ولي علي أمة قلت أو كثرت، ثم لم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار)).

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٣٧ص٤١٩.

فهلم بنا يا عبد الله، ننصر دين الله، ونجتمع على ذلك فإن الله سينصرنا كما وعدنا أما تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج:٤٠]، فأمر فينا بالمعروف وأنه عن المنكر واتبع قول الله عز وجل: ﴿**[وَ]الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة:٧١]، وتدبر قول الله في كتابه، وما بين في فرقانه في السور المحكمات، وما قص على نبيه من الآيات المفصلات، وما حكى عليه عباده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصر له والقيام بأمره إذ يقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[المائدة:٤٤]، ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[المائدة:٤٥]، ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[المائدة:٤٧]، ويقول لنبيه: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[المائدة:٤٩].

ولسنا ندعوك أكرمك الله إلى أن تحكم فينا بغير كتاب الله، ولا إلى أن تحيد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أجمع بنا على تقوى الله ومراقبته، وحفظ دينه، والانتصار له من عدوه، والقيام بحقه والدعاء إلى سبيله كما أمر نبيه إذ يقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ**﴾[النحل:١٢٥]، وقال فيما حكى عن أمره: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨].

وامتثل في ذلك قول الله جلَّ ثناؤه وأمره وفرضه إذ يقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة:٨]، فاسمع إلى قول الله

سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف:٨٥] الآية، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٨٦].

فتكون – أعزك الله – هذه سبيلك وسبيلنا معك حتى ينهض الإمام ويعز الله بك الإسلام، ويحفظ الأيتام، ويرعى الأنام، ويحاط البلدان من صولة الطاغية ودعاة الشيطان، فإذا استقام عمود الحق واتسق منار الصدق، ونسي الجور والفسق فلم يشرب خمر، ولم يتبع منكر، ولم يرتكب زنا، ولم يؤكل ربا، ولم يتعلق بفاحشة حمدنا الله على ذلك، وعلمت وعلمنا أن ذلك مقام محمود عند الله سبحانه غير مذموم، وان حظك وحظنا الأوفر، ونصيبك ونصيبنا الأكثر، وأن سهمك وسهمنا الفائز الأكبر، وإنك وإيانا على منهاج [وثغر][(١)] وأنت بذلك المصيب ونحن معك محفون.

وأنت – أكرمك الله – فلا تطلب من الدنيا مالاً ولا عقاراً، ولا تريد اكتناز ذهب ولا فضة، ولا [اعصار] [(٢)] مملكة، ولا دخولاً في فتنة، ولا اضطهاد اليتيم، ولا قهر الضعيف، وإنما تريد جهاد قوم مشركين، قرامطة ضالين، وزنادقة ملحدين غير موحدين ولا متأولين، قد بارزوا الله جلَّ ثناؤه وتقدست اسماؤه بالكفر الصراح والقول بذلك والافصاح، فيعلم الله منك أنك مجلب عليهم بخيلك ورجلك، ومستنصر عليهم بالله سبحانه ثم بأهل طاعتك، مجتهد في ذلك وانك [كالف] [(٣)] لهم عما يريدونه من إفساد الدين، ونكاية المسلمين، وإبطال ما أسسه إمام المسلمين الهادي إلى الحق بن رسول رب العالمين، من إحياء الكتاب المبين، والحق اليقين وسنة محمد خاتم النبيين صلى اله عليه وعلى آله أجمعين، فأنت تعلم أنك والحمد لله في ذلك وغيره على الطريق المستقيم، والمقام المحمود الكريم؛ إذ أنت ومن معك المحقون، ومن

(١) لعلها المثبته.

(٢) لعلها المثبته.

(٣) لعلها المثبته.

خالفك فهم المبطلون، وأنت وحزبك المؤمنون، وبسنة محمد صلى الله عليه متمسكون، وأنك ومن معك موالون لأولياء الله، معادون لأعدائه، مجاهدون لزنادقة كفرة ظلمة فجرة، لا يصلون، ولا يزكون، ولا يحجون، ولا يعرفون الله، ولا يوقنون ببعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب.

فمتى نهض الإمام ودعاك وإيانا، اجبته واجبناه، ونصرته ونصرناه، وعضدته وعضدناه، ووارادته ووارادناه، وقمت ونحن بين يديه، وسعينا جميعاً في طاعته، وظهر بك الحق وبأسبابك وعلى يديه، فإنك إن لم تفعل ذلك هلكت البلاد، واضطهد العباد، وخشينا عليك الهلكة؛ لطلبتنا إليك أن نقيم الحق بك فلا حجة لك في ترك إجابتنا، ورفضنا وإهمالنا.

[موافقة الإمام الناصر عليه السلام]:

حتى رعوا قلبي إلى كلامهم وصدق جملة مقالهم، ورغبت في طاعة ربي، وثواب خالقي فقمت في طاعة الله مفوضاً أمري الله، وناصراً لدينه، وقائماً بحكمه، ومجاهداً لمن عند من أهل الشرك والردة والكفر واللعنة عن طاعته، حتى يعز الإسلام بنا، ويقوم الحق بأسبابنا، ويكون ظهوره أولاً وآخراً بدعوتنا، فنهضت على هذا السبيل مدعواً لا داعياً، وناصراً للدين لا للإمامة مدعياً ولا بالإمارة متسمياً، الله بذلك شاهد ووكيل وعلى ما أقول حافظ وكفيل.

[مبررات قبول الإمام الناصر عليه السلام لهم]:

وابتغيت في القيام بهم والإجابة لدعوتهم[1] قول الله سبحانه: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[النساء:١١٤]، وأنا أرجوا أن يكون نهوض إمامنا قريباً وقيامه وشيكاً وان يكون الحق قد دنا وقرب، وأنا فقد يعلم الله ما رغبني إلا في

---

(١) وذلك يوم الأحد ٩ صفر سنة ٣٠٠هـ. سيرة الهادي إلى الحق ص٤٠٠.

تطهير أرضه من النجاسة وانقائها من الرجاسة والفواحش والمنكرات ونفي الضلال والجهالات، وارجوا ان يوليني الله ذلك بأنصار مؤمنين وقوم مجتمعين يبيعون أنفسهم من الله بأربح الأثمان فينجون بذلك من الغبن والخسران بمجاهدة أهل الردة والعصيان، ويتبعون من سبقهم من اخوانهم بإحسان، ويرغبون فيما رغبهم الله فيه من الثمن الربيح في البيع الصحيح لأنه يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة:١١١]، فبين سبحانه نياتهم ومنهم ووصف أحوالهم فقال: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[التوبة:١١٢]، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أولياءه الفائزين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وأن ينجينا وإياكم من سخطه وأن يختم لنا ولكم بعفوه ومغفرته بمنه ورحمته.

[نفي الإمام الناصر عليه السلام أن يكون إماماً أو سلطاناً في قيامه]:

وأنا أكرمكم الله في وقتي هذا فلست بإمام تجب طاعته ولا بسلطان جائر يغشم الناس بظلمه ومعرته، ولا بطالب ما ليس له – معاذ الله أن اكون كذلك – أو على شيء من ذلك أو أنسب نفسي إلى ما هنالك، بل أنا مترقب للإمام وراج له ومسلم إليه وقائم بين يديه، وإني لأشاوره – جعلني الله فداه – في أموري غير كاتم شيئاً من أحوالي، ولم يرى أيده الله أن يقوم في وقته هذا ولم يحظني في شيء من فعلي، ولم يأمرني بترك شيء مما نهضت فيه بل هو يصوب فعلي في ذلك للذي شرحته ولمعرفته – أعزه الله – بقصدي في ذلك ومرادي، ولما اليمن عليه مشرف من هذا الزنديق الكافر الغوي الفاجر ابن الفضل القرمطي – لعنه الله –

ولما قد ارتكب به أهل اليمن مما قد سقته في صدر هذا الكتاب، وجهاد هذا الملعون – أخزاه الله – فواجب على من آمن بالله.

[الحث على الزهد في الدنيا وتقوى الله]:

فرحم الله عبداً فكر ونظر فتخلص من دنياه الفانية إلى آخرته الباقية التي يدوم نعيمها ويأمن ساكنيها وينجوا من هرب إليها، فجعله الله له معتصماً وملجأ وحرزاً ومنجى؛ لأن الله جلَّ ثناؤه وتقدست اسماؤه يقول: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾[هود:١٥]، ويقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾[الإسراء:١٩].

فطوبى لمن كانت الأخرة تعنيه والتقوى شريعته والنجاة طلبته والإخلاص سريرته والحق مراده أولئك الفائزون وعند الله سبحانه الناجون ومن الفزع الأكبر يوم القيامة آمنون، وفي جنات عدن خالدون ﴿**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[الحجر:٤٨].

فأما الدنيا فليست بدار لعاقل، ولا لمؤمن كامل بل هي دار الغرور وأشبه شيء بالدور تزول زال الأفياء، وتخترم من أهلها الأحياء فكلهم ذائق الموت غداً وسالك سبيل من مضى، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[ق:٣٧]، فلقد ظعن عنها الأولون إذ لم يجدوا محيصاً ولا من سكرة الموت خلوصاً وقد كانوا اطول منا اعماراً واكثر آثاراً فجمعوا كثيراً وبنوا شديداً واملوا بعيداً فاصبح جمعهم بورا واملهم غرورا وبناهم قبورا لم يتقوا لما جمعوا ولم ينفعهم ما حازوا ولم يبلغوا ما املوا ثم خلوه وهم ينظرون، فخربت ديارهم وفنيت اعمارهم وانقطعت آثارهم وذهبت اموالهم

وحصلوا بأعمالهم ثم يصيرون إلى عدل لا يجور، ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:٤٩]، خيراً فخير أو شراً فشر، من ﴿**يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[الزلزلة:٧]، ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[يونس:٣٠].

فنعوذ بالله من الحيرة والعمى والخوض في ميادين الهوى، فالمغبون والله حظاً والمنحوس نصيباً من ركن إلى هذه الدنيا الحقيرة اليسيرة أمرها الزائلة الزائل ما عليها والأخرة فهي دار القرار ومحل المتقين الأبرار في جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿**تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾[الرعد:٣٥].

ونحن نسأل الله ان يخلصنا وإياكم من الهلكة، وان ينجينا وإياكم من كل خوف ونقمة وان يكفينا وإياكم المهم من الدنيا والأخرة، وليس شيء هو أجل قدراً ولا أعظم خطراً ولا ارفع ذكراً من تقوى الله ومراقبته في سر امركم وعلانيته، والاجتهاد لله في طاعته، والعمل بمرضاته والزهد في الدنيا، والخروج من مأثمها، والنظر فيما يخرج منها، فأوشك والله زوالها وانقضاؤها فالموت فيها ليخترم الكبار والصغار، والعبيد والأحرار، والأخيار والأشرار، وكل ﴿**شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[القصص:٨٨].

[أهمية كتاب الله تعالى القرآن الكريم]:

ولا موعظة اشفى ولا لكل مؤمن اكفى من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الأنفال:٢٩]، ويقول سبحانه وجل عن كل شأن شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ**

الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[الطلاق:٢]، وقال عز وجل: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾[الطلاق:٥]، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران:١٠٢]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب:٧١].

مع ما رغب الله فيه من طاعته، وخوف من غب معصيته، وذكر ما اعد لاهل طاعته من الثواب الكريم والمحل الشريف العظيم، وحث عباده عليه من الجهاد في سبيله والنفير الى انبيائه والأئمة العاملين بما أمرهم به جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب، ففي كتاب الله الشفاء والكفاية لمن اهتداء وهو حرز لمن تعلق به ونجاة لمن عمل بما فيه تفصيلاً، ونزله على لسان نبيه بالحق تنزيلا وجعله لنا ولكم علماً ليقتدا بضيائه ونأم قصد سناءه وجعلنا وإياكم ممن يتلوه حق تلاوته على بصيرة من امره ويقوم به على حقيقته ونفعنا وإياكم بذلك وخلصنا وإياكم به من موبقات الآثام واحلنا وإياكم دار السلام انه ذو المن والانعام.

[خاتمة]:

قد شرحت لكم - أكرمكم الله - من قصتي لما أنا عليه، ومرادي ومذهبي ما فيه الكفاية، ولولا كراهية التطويل في الخطاب وكثرة الشرح بالإطناب لطال الكتاب غير أني اختصرت لكم جملاً من الأمر، واقتصصت ما نحن فيه وعليه في هذا الدهر؛ لعلمي بمشاركتكم إيانا في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والمحبوب من الأمر والمكروه إذ أنتم الإخوة والأولياء، والنصرة والاحباء، ومن يتطلع إلى أخبارنا ويحب سلامتنا في انفسنا.

وبعد – أكرمكم الله – فإخواننا وإخوانكم واصلون بكم إن شاء الله وقد القينا ما سيلقونه إليكم ويعرفونكم من أمرنا وقصدنا ما لا يؤدي اكثره كتابنا ولا يكمل فيه خطابنا، فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه إن شاء الله، ونحن نسأل الله أن يبلغهم سالمين وأن يوديهم إليكم بأحسن حال ناعمين، فبالله أنا من الوجد على من مضى منهم أولاً ولحق منهم آخراً لعلى ما قد علمه الله من الشوق اليهم، والتوق إلى لقائهم والإنس بهم، والاعتداد بما هم عليه في جميع أمورهم؛ للثقة بصحيح الديانة، والاعتماد على الوفاء منهم بالاستقامة، وأن ضميرنا فيهم لنحو ظاهرنا، فأحسن الله عنا وعن الاسلام جزاهم، وأطال بقاهم، وبلغهم نياتهم، وجعل الجنة ثوابهم ومأواهم، فنحن لهم شاكرون وبالخير مثنون، وبكل ما يستاهلونه ويستحقونه ذاكرون لهم، ولإخوانهم المقيمين عندنا الذين اسوا بأنفسهم، وزهدوا في الدنيا ورغبوا في الأخرة، وطلبوا الفوز من الله وباينوا اعداء الله تولا الله عونكم جميعاً على طاعته ووفقكم لمرضاته بمنه ورأفته.

ونحن – اكرمكم الله – متطلعون الى أخباركم، محبون لعلم سلامتكم، متوقعون لكتبكم، مسرورون بما يوليكم الله من نعمه وينيلكم، فلا تدَعوا كتابكم إلينا بخبركم وحالكم وجوابكم؛ فإنا نأس بذلك، ونعتد به من بركم موفقين إن شاء الله، أسعدكم الله بطاعته، والهمكم العمل لمرضاته، وختم لنا ولكم بعفوه ومغفرته، ونجانا وإياكم من سخطه، وجعلنا وإياكم من أولياءه المؤمنين، وحزبه الغالبين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين وسلم تسليماً.

الخاتـمــة

بعد ذكر رسالة الإمام الناصر عليه السلام إلى أهل طبرستان وما تضمنت عليه من مبادئ سياسية جليلة، يأتي التساؤل: هل استمر النظام السياسي الزيدي على هذه الكيفية من طبيعة الإمامة ومواصفات الأئمة وسيرهم؟

يؤكد التراث الزيدي استمرار ذلك من الناحية النظرية دائماً ومن الناحية العملية كثيراً، وقد جاء ذلك من خلال القوانين الدستورية للإمامة في بابها وباب السير أيضاً وكذلك في سير الأئمة أنفسهم، وللمزيد من التأكيد على هذه الحقيقة يمكن الاعتماد على مؤكد من مصادر غير زيدية وقد وجد بعضاً منها في الإمامة عموماً والأئمة كما يلي:

- قال الرحالة الجغرافي محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي – المتوفى سنة ٣٨٠هـ -: "والعلويّة على صعدة وهم اعدل الناس"[١].

- قال المؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي – المتوفى سنة ٧٤٣هـ -: "وأئمتهم لا يحجبون ولا يحتجبون ، ولا يرون التفخيم والتعظيم ، الإمام كواحد من شيعته: في مأكله ومشربه وملبسه، وقيامه وقعوده، وركوبه ونزوله، وعامّة أموره، يجلس ويجالس، ويعود المرضى، ويصلّي بالناس وعلى الجنائز؛ ويشيّع الموتى ويحضر دفن بعضهم. ولشيعته فيه حسن اعتقاد، ويستشفون بدعائه، ويمرّون يده على مرضاهم، ويستسقون المطر به إذا أجدبوا، ويبالغون في ذلك مبالغة عظيمة .

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٠٤.

قال المقرّ الشهابيّ بن فضل الله : ولا يكبر لإمام هذه سيرته (في التواضع لله وحسن المعاملة لخلقه ، وهو من ذلك الأصل الطاهر ، والعنصر الطيب) أن يجاب دعاؤه، ويتقبّل منه"[1].

– قال المؤرخ أحمد بن فضل الله العمري – المتوفى سنة ٧٤٩هـ – عن أئمة الزيدية في اليمن: "وهذا الإمام وكلّ من كان قبله على طريقة ما عدوها، وهي إمارة أعرابية، لا كبر في صدورها، ولا شمم في عرانينها، وهم على مسكة من التقوى، وتردّ بشعار الزّهد، يجلس في نديّ قومه كواحد منهم، ويتحدّث فيهم ويحكم بينهم، سواء عنده المشروف والشّريف، والقويّ والضعيف. قال: وربما اشترى سلعته بيده، ومشى بها في أسواق بلده، لا يغلّظ الحجاب، ولا يكل الأمور إلى الوزراء والحجّاب، يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسّع، ولا تكثّر غير مشبع هكذا هو وكل من سلف قبله، مع عدل شامل، وفضل كامل"[2].

– قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – المتوفى سنة ٨٥٢هـ –: "فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة ... وكبير أولئك أي أهل اليمن يقال له الإمام ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرياً للعدل"[3].

---

(١) مصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج٥ص٤٩ ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٤ص٥٣.

(٢) صبح الأعشى ج٥ص٤٩.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١٣ص١١٧.

- قال العلامة صالح بن مهدي بن علي المقبلي - المتوفى سنة ١١٠٨هـ -: "وإذا حققت وأنصفت فلا فرق بين الحسين رضوان الله عليه وغيره ؛ لأن أئمة الزيدية كلهم صلحاء في الدرجة القصوى ، يعلم ذلك من يعرفهم بسيرهم ضرورة ، كما يعلم صلاح عمر بن الخطاب وعدله .

وعذر المائلين عنهم عذر الرافضة في عمر مثلاً ، وهي أعذار باطلة لا تتفق في سوق المتقين"(١).

- قال العلامة محمد رشيد رضا - المتوفى سنة ١٣٥٤هـ -: "ولم يتول أحد منهم الإمامة بعد أن نزل عنها الإمام الحسن السبط عليه السلام إلا أئمة الزيدية في اليمن فكانوا وما زالوا أفضل وأعدل أهل بيت تولوها بعد الراشدين"(٢).

- قال العلامة محمد بن علي الأهدل الأزهري - المتوفى بمصر سنة ١٣٧١هـ - معلقاً على كلام ابن حجر: "فلا شك أن هذه شهادة حقة ، ووثيقة تاريخية تثبت للمنصف شريف الضمير من النوازع والأهواء ، تمسك أهل اليمن السعيد بالإمامة الهاشمية القرشية منذ فجر القرن الثالث إلى أواسط القرن التاسع الذي أظهر الحافظ كتابه الفتح فأنه أكمله أول يوم من رجب في سنة ٨٤٢ هجرية ، ونقل لك أساس هذه الإمامة ، ونحن نقول بما يثبته الواقع والمحسوس ، لا تزال هذه الدولة القرشية كذلك في عصرنا الحاضر وهو عصر سليل أهل بيت وجب حبهم على الإسلام عرباً وعجما ؛ ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ خلاصة العناصر النبوية ، مصباح المشكاة العلوية ، أعظم رجل أقتحم خطر السياسة ونجا ، وحافظ على دينه ووطنه من الاعتداء ، أبو السيوف النبوية والأقمار الهاشمية أمير المؤمنين يحيى بن

(١) العلم الشامخ ص٥١٩.

(٢) الخلافة ص٣٢.

محمد حميد الدين ، كما هو معلوم لكل مطلع على حقيقتها وسيرها ، وما سطرته صحف العا لم على لسان من وفد إليها من عظماء المسلمين وغيرهم ، ورأى بعيني رأسه طهارة البلاد اليمنيه من رجس المسكرات ، وبيوت الزنا ، ودور الربا والسينما ، ومراسح التعنيل والخلاعة ، والرقص والقمار الذي حرمه الواحد القهار ، ووعد مرتكبه الفقر والخسران والعذاب الأليم في دار القرار ، لأن شرط من تربع على كرسي هذه الإمامة المكرمة وأسه الوحيد العلم ، وهو باقي مفعوله عندهم إلى عصرنا الحاضر ، لا ينال هذا الشرف النبوي من الأشراف إلا من قضى مدة من أول حياته في تلقي العلوم الدينية ، وتوابعها على جهابذة العلماء ، وأعترفوا ببلوغه رتبة أهل التحقيق دراية وفضلاً متوسعين فيه العدل والإنصاف ، لا يخاف في الله لومة لائم حرصاً على العمل بالشريعة الغراء طبق ما أمر الله تعالى ورسوله"(١).

- قال الدكتور أحمد محمود صبحي - أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية -:
"عرف التشيع أئمة اقتصروا على العلم دون الجهاد ، كما عرف أئمة غلبوا الجهاد على العلم ، وعرف التشيع وغير التشيع رجال دولة يظنون أن حجاباً يفصل بينهم وبين الرعية لازم من أجل دعوى غرس المهابة لهم في قلوب الناس ، ولكننا بصدد إمام يطعم بيده ويؤاكل المساكين معه ، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق وأن يكون الورع والزهد ومؤاساة المحتاجين من خصال رجل الدولة فذاك ما لا يكون على مر العصور والدهور إلا في الواحد بعد الواحد ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين"(٢).

---

(١) نثر الدر المكنون ص١٣-١٤.

(٢) في علم الكلام - الزيدية ص١٤٢-١٤٣.

الفهرس